مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (40) العدد (1)2018
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (40) No. (1) 2018

تحولات صورة مُنْتِج الخطاب "الإيتوس" في خطبة الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام في ساباط

د. محمد إسماعيل بصل*
د. عدنان محمد أحمد**
اكسم احمد فياض***

(تاريخ الإيداع 2 / 12 / 2017. قبل للنشر في 4 / 1 / 2018)

□ ملخّص □

يحاولُ البحثُ مقاربةَ قضيَّة لغويَّة لسانيَّة مازالت مفهوماتها النظريَّة في طور التشكل، وهي تتعلَّق بالكشف عن تجليَّاتِ صورةِ مُنْتِجِ الخطاب، والتحوُّلات التي طرأت عليها، وآليَّة تطبيقها على نصٍّ لغويٍّ، هو خطبةُ الحسنِ بنِ عليٍّ بنِ أبي طالب عليهما السلام في ساباط، وقد حاول البحث وَضْعَ مقاربةٍ توضِّح جانبي المقولة: النظريّ، والتطبيقيّ، فأشارَ البحثُ إلى أهميَّةِ الخطابةِ بوصفها صناعةً تسعى إلى استمالة المخاطَبين، والتأثير فيهم وإقناعهم، وبَيَّنَ مكوِّناتِ العمليَّةِ التواصليَّة، ووضَّح تجلِّيَات الإيتوس، بدءاً منَ الإيتوس المتقدِّم المتعلِّق بالشخص العينيِّ، ومروراً بالإيتوس الخطابيِّ، وهو الصورة التي حاول منتج الخطاب بناءها في النص، لنصل إلى صورة الذات المتشكِّلة بعد انتهاء الخطبة، والتي اصطلحنا على تسميتها بالإيتوس ما بعد الخطابي، وكيف تمرَّد المخاطَبون على الخطيب عند تحقُّق الفعل الثالث "الفعل التأثيري من نظريَّة أفعال الكلام".

ولعلَّ المنهجَ الوصفيَّ المشفوع بالتحليل يكون أمثلَ المناهجِ في مقاربة خطبة " الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام"، وتحليل العمليَّات الإجرائيَّة في دراسة الظاهرة اللغويَّة، بعد تحديد مجالها وزمنها وبيئتها ، والكشفِ عن التحولات التي طرأت على الإيتوس.

الكلمات المفتاحية: الخطابة، الإيتوس، التداوليَّة، أفعال الكلام.

* أستاذ علم اللغة واللسانيات في قسم اللغة العربية من كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية.
** أستاذ أدب صدر الإسلام في قسم اللغة العربية من كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية .
*** طالب دكتوراه في قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية،.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (40) العدد (1)2018
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (40) No. (1) 2018

Transformation of the orator image (the Ethos) at speech of AL- HASAN Ibn ALI Ibn ABI TALEB In Sabatt

Dr. Mohammed Ismael Basal*
Dr. Adnan Mohammed Ahmed**
Aksam Fayad***

(Received 2 / 12 / 2017. Accepted 4 / 1 / 2018)

□ ABSTRACT □

The research attempts to compromise a linguistic case to be understand able it's the theory in phase the formation, and it is the detection hangs in about the image which appeared in its personality of the oratorical self, the transformations which occurred on it, and their application mechanism to a linguistic text which is the speech of **AL- HASAN Ibn ALI Ibn ABI TALEB In Sabatt.**

Moreover, The research attempts to set up a compromise that clarifies both sides of saying: theoretical and practical, so the research to importance indicated the rhetoric in describing its industry, and seeks to attracting the addresses "receivers" and the impacting and persuading them, and explain the components of the communication process, and illustrated the manifestations of the ethos, started with the advanced ethos that pertains to the person speaking, and through the oratorical ethos, it is the image that the speech producer tried to construct in the text, to reach the image of the self was formed after the end of the discourse, which proposed usher naming the post-rhetorical ethos, and how the recipient rebelled against the preacher when the third verb of the speech act was achieved.

The analytical descriptive and method might sound the perfect way via which one can get to the speech of **AL- HASAN Ibn ALI,** analysis of procedural processes in the study of linguistic phenomena after determining their scope time and environment, and detecting shifts in the image of the discourse product "ethos" .

Keyword: Rhetoric , Ethos , Pragmatic ,Speech act.

***Professor of language and linguistics, at Department of Arabic in Faculty of Arts and Humanities , Tishreen University, Lattakia, Syria.**

****Professor of Early Islamic Literature, at Department of Arabic in Faculty of Arts and Humanities , Tishreen University, Lattakia, Syria.**

*****Postgraduate student, at Department of Arabic in Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria.**

مقدِّمة:

الخطابةُ علمٌ مستقلٌّ وفنٌّ أصيلٌ مارسه الإنسان منذ أقدم العصور بهدف الدعوة والإقناع والتأثير والثقافة والإعلام، ولتحقيق ذلك يتبنَّى منتج الخطاب "المرسِل" إستراتيجية معيَّنة في كلِّ خطاب يتوخى بوساطتها إنجاز التفاعل في العمليَّة التواصليَّة بأفضل ما يمكنه، ومن تلك الإستراتيجيات بناء صورة الذات المبدعة في نَصِّ الخطبة، والتي اصطلح على تسميتها "الإيتوس الخطابي" ، إذْ تشير المعطيات القبليَّة إلى العلاقة الوثيقة التي تجمع الخطيب بالمخاطَب "المتلقي"، وإلى المكانة الموقَّرة التي يشغلها الخطيب، وهي صورة **الإيتوس المتقدِّم** "**ما قبل الخطابي** " بوصفه الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، وهو أحد سبطي الرسول ﷺ، وقد حاول في خطبته بناء صورة لذاته الخطابية "الإيتوس الخطابي"، فأرادها امتداداً للإيتوس المتقدِّم، من حيث مكانته الدينيَّة والاجتماعيَّة والسياسيَّة، فتشكَّلت تلك الصورة وفق أنموذج، هو صورة الإمام المتواضع المحبِّ الذي يحمل مشروعاً متسامحاً يريد به إنهاء حالة التفرقة بين المسلمين، ولكنَّ جمهور المخاطَبين فهم الرسالة بشكل خاطئ، وتغيَّرت صورة منتج الخطاب، وهنا تكمن مشكلة البحث في رصد تحولات صورة منتج الخطاب، والتي وصلت في النهاية إلى مرحلة أباح المخاطبون لأنفسهم التمرُّد على الحسن عليه السلام، وتطاولوا عليه، وحاولوا قتله.

– **مفهوم الخطابة** Rhetoric: شغلت الخطابة الباحثين منذ أقدم العصور، فجدُّوا البحث في أسسها وماهيتها، ويعدُّ **أرسطو** Aristoteles 384 – 322 ق.م من أوائل الباحثين الذين قدموا تعريفاً اصطلاحياً لهذا الفن، فيقول: (الريطورية قوَّة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة) [1]، أي أنَّها صناعة تبذل جهداً لتبحث في كلِّ الوسائل الممكنة التي تتوخَّى إقناع الآخرين في موضوع ما.

وتعني الخطابة **لغة** كما ورد في لسان العرب مادة "خطب": يقال: خَطَب فلانٌ إلى فلانٍ فَخَطَّبَه وأَخْطَبَه أَي أَجابَه. الخِطابُ والمخاطَبة: مُراجَعَة الكَلامِ، وقد خاطَبَه بالكَلامِ مُخاطَبَةً وخِطاباً، وهُما يَتخاطَبانِ. الليث: والخُطْبَة مَصْدَرُ الخَطِيبِ، وخَطَب الخاطِبُ على المِنْبَر، واخْتَطَب يَخْطُبُ خَطابَةً، واسمُ الكلامِ: الخُطْبَة [2]؛ وقدَّم معجم تحليل الخطاب تعريفاً **اصطلاحيا** للخطابة يبيِّن فيه أنَّها (العلم النظري والتطبيقي لممارسة الكلام في الجمهور أمام مستمعين يساورهم الشك وبحضور معارض. يسعى الخطيب بخطابه إلى فرض تمثيلاته وصياغاته وإلى توجيه فعل) [3]. فالخطابة صناعة يتعلَّم الإنسان أصولها وقواعدها، ويتدرب، ويمارس الكلام أمام مخاطَبين حتَّى يتمكَّن من السيطرة على ناصية هذا الفن، ويطوِّعه لتحقيق أغراضه ومقاصده في التأثير في المخاطَبين وإقناعهم ببراعة ويسر، فهي اتِّصالٌ اجتماعيٌّ لسانيٌّ يراد به توصيل فكرة إلى المخاطَب وإقناعه بها؛ وقد دأب السياسيُّون على مرِّ العصور على التدرُّب على فنون القول والخطابة (بهدف الإقناع والاستمالة وتوطيد حكمهم ودحض آراء الغير والترويج لأفكارهم الجديدة...) [4].

فالخطيب: هو منتج الخطاب الذي يرتب أفكاره وفقاً لمقاصدَ وأغراض تخدم توجهاته، ويختار المفردات اللغويَّة المناسبة والأساليب النحويَّة والبلاغيَّة، ويبنيها وفقاً لتصورات كوَّنها عن المخاطَب بما يناسب مقام التلقي، ويتعالق مع ذوقه وطموحه وأحلامه وآماله، سواءٌ أكانت تصوراتٍ سلبيةً أم إيجابيةً، فيحمِّل خطبته من الانفعالات ما يجعله متبنِّيا ما جاء

---

[1] – أرسطو طاليس، *الخطابة* "الترجمة العربية القديمة"، حققه وعلق عليه، عبد الرحمن بدوي، ص 9.

[2] – ينظر: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، *لسان العرب*، مج1، مادة "خطب"، دار صادر، ص ص(260–261).

[3] – باتريك شارودو – دومينيك منغنو، *معجم تحليل الخطاب*، ترجمة عبد القادر المهيري، حمادي صمود، ص 490.

[4] – د. عبد الجليل شلبي، *الخطابة وإعداد الخطيب* ص106.

فيها ومدافعا عنه، ويبقى المطلوب هو التأثير في المخاطَب المتلقي، وتحريك عواطفه وانفعالاته ودفعه نحو تبنِّي مقولات النص المُلْقَى إليه وأيديولوجيته.

– **مكونات التواصل**: تتبنى الرسالة اللغوية في الخطبة على مكونات تواصلية، هي[1]:

1. المرسِل "الخطيب – منتج الخطاب" Destinateur–addresser: هو كلُّ مَنْ يبعث معلوماتٍ تحمِل معنى معيَّناً أو أكثرَ من معنى بُغية التأثير في سلوك المتلقي أو تغيير قناعاته نحو أمرٍ ما، فهو مصدر المعلومات وبادئ عملية الاتصال. ويرتبط عمل المرسِل بالوظيفة التعبيريَّة أو الانفعاليَّة Expressive function، وهي التي تُظهر موقف المتكلِّم، وتُقدِّمُ انطباعاته وانفعالاته حول القضايا التي يتكلَّم عنها.

2. المرسَل إليه "المتلقي– المخاطَب" Destinataire–addressee: وهو الطرف الذي يُكمِل عمليَّة الاتصال، ويتلقَّى المعلومات ويفهمها. ويرتبط موقعه في عملية التواصل بالوظيفة الندائيَّة أو الإفهاميَّة Cognitive function، وتتوجه هذه الوظيفة إلى المرسَل إليه لإثارته حول موضوع الرسالة التي بثَّها المرسِل.

3. المُرسَلَة اللغوية "الخطبة" Message: هي كميَّة المعلومات التي يبثُّها المرسِل إلى المتلقي. إنها محتوى الاتصال المحدد في المعلومات الوظيفيَّة أو العاطفيَّة، أو كليهما ضمن دائرة إنتاجيَّة أو استهلاكيَّة. وترتبط بالوظيفة الشعريَّة Poetique function من حيثُ تركيزها على الرسالة ذاتها، وإبراز قيمة الكلمات والأصوات والتراكيب ... مُكسِبةً إيَّاها قيمةً مستقلَّةً[2]. وهي تشمل المرسلات الكلامية كلَّها.

4. قناة الاتصال Contact: يستلزم التواصل قناةً فيزيائيَّةً تمثِّل الصلة بين المرسِل والمستقبِل، وتختلف نوعيَّةُ القناة باختلاف نوعيَّة التواصل، وعلى سبيل المثال يمثِّل الهواء دعامة ضرورية في الاتصال الخطابي بين الخطيب على المنبر، وبين المخاطَبين "جمهور السامعين"، فقناة التواصل في الخطابة بصريَّة لفظيَّة، وهي ترتبط بالوظيفة الانتباهية Attention Function التي تراعي إقامة الاتصال وتأمينَ استمراره، وذلك (باستخدام أشكال تعبيريَّة وسلسلات لفظية في لحظات معيَّنة، قصْدَ التأكُّد من استمرار التواصل وصِحَّة تمثُّل المستمع مضمون الإبلاغ الحقيقي)[3].

5. السنن أو الشيفرة Code: هي اللغة المشترَكة التي يفهَمُ تحقق علاماتها اللغوية المرسِل والمستقبِل معاً. ويستند السنن إلى عدد من الفونيمات والمورفيمات تتمثَّلُها قواعد خاصة بنظام محدَّد في لغة معينة، وتكون الشيفرة اتفاقيَّة تتحقَّق في رسائل تقابل تحقُّق اللغة في الكلام؛وتتموضع (السنن في مجال الوظيفة الميتالسانيةMeta Linguistic Function التي تتناول بالوصف اللغةَ ذاتها، وتشمل عناصر البنية اللغوية وتعريفَ المفرداتِ[4])أي تتخلَّلُ الوصف في الكلام اليومي.

6. السياق* أو المرجع " Context": (إنَّ السياق كما يحدده **ياكبسون** هو المضمون الذي يمثِّله المرسَل إليه، وهذا المضمون يكون إمَّا لفظياً أو قابلاً لأنْ يصيرَ كذلك) [5]، وهو سيرُ مجرى الأحداث ضِمْنَ أُطرٍ زمانية ومكانيَّة محددة، ويرتبط السياق بالوظيفة المرجعية "Referential Function" أو"Cognitive Function"، حيث تَظهر بشكل

---

[1]– **ينظر: د. ميشال زكريا، *الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام*، ص ص(52–53).**

[2]– **ينظر: عبد القادر الغزالي، *اللسانيات ونظرية التواصل*، ص50 .**

[3]– **المرجع السابق. ص49.**

[4]– **د. ميشال زكريا، *الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام*، مرجع سابق، ص54.**

*– **يقسم السياق من الناحية الدلالية إلى أربعة أقسام هي "السياق اللغوي، والسياق العاطفي، وسياق الموقف، والسياق الثقافي". للتوسع ينظر: د. أحمد محمد قدور، *مبادئ اللسانيات*، ص ص(294–300).**

[5]– **عبد القادر الغزالي، *اللسانيات ونظرية التواصل*، مرجع سابق، ص38 .**

عمليٌ في محتوى يتناول موضوعاتٍ وأحداثاً معيَّنة تحقِّقها عملية الإبلاغ في اللغة المشتركة المتواضَع عليها. و(تشكِّل هذه الوظيفة التبرير الأساسي لعملية التواصل، ذلك أنَّنا نتكلَّم بهدف الإشارة إلى محتوى معيَّن نرغب في إيصاله إلى الآخرين وتبادل الآراء معهم حوله) [1]؛ وتكون دراسة الخطاب ضِمْنَ مرجعية السياق خاضعة لمسارين : أحدهما بنيويٌّ ضيِّق يتعامل جزئيّاً مع النصوص بوصفها بنية مستقلة، والآخر **سياق تداوليٌّ** يدرس نسيج العلاقات التي يقيمها النصُّ، ويستدعي مختلف العلاقات الاجتماعية والثقافية للمرسِل والمتلقي. ويستلزم ذلك التعرُّف على التداولية، فما التداولية؟

– **التداولية** Pragmatics: نعلم أنَّ **التداوليةَ** تدرس مقاصد المتكلم، وتشرح وضعية التواصل وسياقه ضمن ما قِيل في استعمال اللغة، وما لم يُقل، فهي (تخصُّص لساني يدرس كيفية استخدام الناس للأدلَّة اللغوية في صلب أحاديثهم وخطاباتهم، كما يُعنى من جهة أخرى بكيفية تأويلهم لتلك الخطابات والأحاديث) [2]. ولأنَّ الخطيب يؤدِّي دوراً محورياً في بناء الموقف الخطابي، فقد كان لصورة شخصيته بالغ الأثر في التأثير والإقناع، وقد اصطُلح على تسمية صورة الذات الخطابية بالإيتوس " Ethos "، فماذا يعني هذا المصطلح؟

– **صور الإيتوس** Ethos: كلمة يونانية تعني السلوك أو العادة، وتعني حالة عاطفية يثيرها عند المتلقي، وتعني ميزات الشخصية [3]. وهو مصطلح مأخوذ من الخطابة القديمة، يشير إلى صورة الذات التي يبنيها المتكلم في خطابه ليمارس تأثيراً على المخاطب، و **الإيتوس** مع **الباتوس** " Pathos " و **اللوغوس** " Logos " ينتمي إلى ثلاثية أرسطو في وسائل الحجَّة المستخدمة في الخطابة، ويوافق هذا المصطلح عند أرسطو معنيين، فهو يشير من جهة إلى الفضائل الأخلاقية التي تعطي الخطيب مصداقية، أيْ الحذر والفضيلة وحسّ الاستعداد، ويشتمل من جهة ثانية على بُعْدٍ اجتماعيٍّ من جهة أنَّ الخطيب يُقنِع إذا تكلَّم بطريقة ملائمة لطبعه وصنفه الاجتماعي، ويتعلق الإيتوس في كلتا الحالتين بصورة الذات التي يبنيها المتكلم في خطابه، لا بالشخص العيني [4].

وتأسيساً على المعنى السابق للإيتوس، من جهة ارتباطه بصورة الذات التي يبنيها منتج الخطاب في الخطبة لا بالشخص العيني، نقع على سؤال يستدعيه السياق، وهو، أليس لصورة الذات الإخبارية " الشخص" العينيِّ تأثيرٌ في الخطاب، بخاصَّةٍ عندما يكون الخطيب قائداً سياسيّاً أو عسكريّاً أو إماماً فقيهاً أو عالماً...؟

تجيب روث أموسي Ruth Amossy عن التساؤل السابق، وتبيِّن وجود ما يسمى **بالإيتوس المتقدِّم** [5]: ويُقصَد به الصورة التي يظهر عليها المخاطَب "المرسِل" قبل إنتاج خطابه، والتي لها القدْرُ الكبير في التأثير في نفسية المخاطَب، وتهيئته لاستقبال الخطاب ، وهو يرتبط بالمعطيات القبْلِيَّة المتعلقة بالمقام الاجتماعيِّ والسياسيِّ الذي يتقلَّده الخطيبُ، وبناءً عليه يمكن أنْ نطلق على الإيتوس المتقدِّم اسم **الإيتوس ما قبل الخطابي**.

---

[1] – د. ميشال زكريا، *الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام*، مرجع سابق، ص54.

[2] – د. خليفة بوجادي، *في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم*، ص ص(70–71).

[3] – ينظر: د. سعيد علوش، *معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة*، ص 41. اللوغوس: اصطلاح يوناني يعني : الكلام ،الخطاب ، العقل، ص200. الباتوس: صورة المتلقي في الخطاب، وتعني في علم الخطابة الصور الخاصة لإيقاظ أحاسيس وعواطف السامعين. ينظر: DUBOIS, JEAN, and others*: Dictionnaire De Linguistiqie Et Des Sciences du Langage*, p187.

[4] – ينظر: باتريك شارودو – دومينيك منغنو، *معجم تحليل الخطاب*، مرجع سابق، ص ص(230– 231). الباتوس

[5] – ينظر: Henri Mitterand ,*L' Analyse Litteraire*, Nathan, Paris, 2002, p127

ولكي يمارس منتج الخطاب تأثيره ينطلق من صورة الإيتوس المتقدِّم ما قبل الخطابي، كما يجب عليه أنْ يتكيَّفَ مع مخاطَبيه، وذلك بأنْ يتصوَّر شكلاً أميناً قَدْرَ المستطاع، إذْ عليه أنْ يكوِّن فكرة عن الطريقة التي ينظرون بواسطتها إلى منتج النص، ولذلك فالأهمية التي نعزوها إلى شخص منتج الخطاب في عمليَّة الإقناع هي نقطة جوهريَّة، وهي صورة الذات التي يكوِّنها هذا المتكلِّم في خطابه ليصبح قولُه أكثرَ فاعليّةً وتأثيراً [1]، وقد سمِّيَت صورة الذات المُنْتَجة داخل الخطاب **الإيتوس الخطابي**؛ يرتبط الإيتوس الخطابي بالصورة المسبقة التي يمكن أنْ تكون لدى السامعين عن الخطيب، أو على الأقل بالرأي الحاصل له عن كيفية تصوُّرِ المخاطَبين له، فهو يحاول دعمها أو تصحيحها أو إعادة بنائها أو محوها...، وهذا المفهوم يبقى إشكالياً لأنه من خارج الخطاب [2]؛ ولعلَّنا أمام هذا الموقف الإشكالي للإيتوس ما قبل الخطابي قد نحتاج إلى تجاوز الارتباط **بالسياق** نحو الارتباط **بالمساق**، فإذا كان **السياق** هو الوسط الذي تظهر فيه عبارة معطاة في الوقت نفسه الذي تظهر فيه عبارات أخرى تنتمي إلى النسق نفسه من الدلائل، والسياق سلسة من النصوص المثالية الممكنة التي يمكن أنْ تتوقَّع نظريةٌ دلاليةٌ "ما" ورودَها في ارتباط بتعبير مع معطى، **فالمساق** هو الوسط الفعلي لعبارة معينة خلال سيرورة فعلية للتواصل [3]، أيْ عَبْرَ **سيرورة الاستعمال** التي يقوم عليها جهاز الإبلاغ.

يتعزَّز هذا الارتباط بمفهومٍ جوهريٍّ للتداولية، وهو ما جاء به **تشارلز موريس** Ch. Mouris عام 1931، فكان أولَ من استخدم مصطلح التداولية اللسانية Pragmatique Linguistique"، ويقصد به (كل ما يتعلق بمظاهر استعمال اللغة وخصائصه – المظهر التداولي – أيْ الحوافز النفسية للمتكلمين، وكذا النماذج الاجتماعية وموضوع الخطاب وغير ذلك. وذلك في مقابل المظهر التركيبي الذي يُعنى بالعلاقات التركيبية الشكلية، والمظهر الدلالي الذي يعنى بالعلاقات القائمة بين مدلول الوحدات اللغوية والواقع)[4].إذْ رأى أنَّ التداولية تعالج العلاقة القائمة بين العلامات ومستعمليها[5]، أيْ تدرس اللغة في سياق الاستعمال.

بعد المناقشة السابقة لمفهوم الإيتوس الخطابي وارتباطه بالإيتوس المتقدِّم "ما قبل الخطابي" ضمن سيرورة التواصل الفعلي في **المساق**، يطالعنا تساؤل تفرضه ضرورات التحليل التداولي لعلاقة التخاطب، ألا وهو صورة منتج الخطاب بعد انتهاء خطابه، وبمعنى آخر، ما هي الصورة التي تركها منتج الخطاب لدى المخاطَب "المتلقي"؟ وما هي الصورة التي كوَّنها المخاطَب عن الخطيب؟ وماذا يمكن أنْ نصطلح على صورة الذات تلك؟

نقترح اجتراح مصطلح **الإيتوس ما بعد الخطابي** لعلَّه يكون مناسباً للتعبير عن سيرورة صورة الذات المنتجة للخطاب بعد انتهاء التلفظ بالخطاب. وهذه الصورة قد تكون موافقة للإيتوس الخطابي، أو قد تكون غير ذلك، فقد ينجح الخطيب في بناء صورة تماشي مقاصده وأغراضه، ويكون التواصل عندئذ إيجابيّاً، أمَّا إذا حدث تشويش ما، وفَهِمَ المخاطَب صورة الإيتوس الخطابي بشكلٍ مغايرٍ، فعند ذلك يصبح التواصل سلبيّاً.

– **الإيتوس من منظور أفعال الكلام Speech act**: بالنظر إلى أنَّ التداولية تهتمُّ بالبعد الإنجازي للغة، فهي ترتبط بنظرية أفعال الكلام، التي تعدُّ إحدى أسس البحث التداولي، وتعني (أنَّ اللغة بقدر ما هي وصفٌ "إخبار" للعالم

---

[1]– **ينظر الفصل الثاني من كتاب: Ruth Amossy: *L'argumentation dans le discours. Discours politique*, littérature D'idées, Fiction. Nathan, 2000, p.60**

[2] – **ينظر: باتريك شارودو – دومينيك منغنو، *معجم تحليل الخطاب*، مرجع سابق، ص ص(231– 232).**

[3] – **ينظر: د. سعيد الحنصالي، *الاستعارات والشعر العربي الحديث*، ص98.**

[4]– **الطاهر لوصيف، *التداولية اللسانية " ملتقى علم النص"*، مجلة اللغة والأدب، ع17، 2006، ص8. بتصرف.**

[5] – **فرانسواز أرمينكو، *المقاربة التداولية*، ترجمة سعيد علوش، 1986، ص8.**

فهي إنجازُ أفعالٍ كالأمر والوعد ...) [1]، وقد وضع أسسها **جون أوستن** Austin، ثم جاء تلميذه سيرل "Searle " وتابع أبحاثَه في نظريَّة أفعال الكلام، فجاء بمبدأ **التعبيرية**[2] Principe d' exprimabilite، أيْ أنَّ المتكلِّمَ أثناء بناء صورة الذات يكونُ لديه فكرةٌ يريد إيصالها أو نقلها إلى المتلقي، وتتضمَّن مفهومين رئيسين هما (القصد– النيَّة) "Intention"، و(الاتفاق) " Convention" أيْ استخدامُ لغةٍ متَّفقٍ عليها؛ وقد صنّف أوستن أفعال الكلام في ثلاثة أصناف، هي[3]:

1. **فعلُ الكلام** " النطقيِّ–التلفظِيِّ" acte de lacutoire: وهو جملة الأفعال الصوتيَّة والصرفيَّة والتركيبيَّة والدلاليَّة.

2. الفعلُ الغرضيُّ "الإنجازيُّ–المتضمن في القول" acte de illacutoire: ويراد به أنَّ المتكلِّم حين يلفظ قولاً ما فهو يُنجز معنىً قصديّاً، أيْ ما يؤدِّيه الفعل اللفظيُّ من وظيفةٍ في الاستعمال، كالوعد والتحذير والنصح ... وغيرها، وقد يكون الإنجاز مباشراً أو غير مباشر.

3. **فعل التأثير في القول** "لازِمُ فعل الكلام" acte de perlacutiore: ويعني أنَّ ألفاظ المرسِل محمَّلةٌ بمقاصدَ معيَّنةٍ في سياقٍ محدَّدٍ تعمل على تبليغ رسالةٍ **تُحْدِثُ أثراً**، ويتحقَّقُ هذا الصنف عندما يتوخَّى المرسِلُ التأثيرَ في مشاعر المتلقِّي ومواقفه وسلوكه، كإزعاجه أو حمله على سلوكٍ معيَّنٍ أو صرفه عنه.

وبناءً على ما جاء في أفعال الكلام لعلنا نجد ارتباطاً تداولياً بين صورة منتج الخطاب ونظرية أفعال الكلام، إذْ يرتبطُ الإيتوس المتقدِّم " ما قبل الخطابي" والإيتوس الخطابي مجتمعَين بالصنفين الأوَّلين من أفعال الكلام، أيْ بالفعل النطقي والفعل الغرضي " الإنجازي"، أمَّا مصطلح الإيتوس ما بعد الخطابي، فهو يرتبط بالفعل الثالث التأثيري "لازم فعل الكلام"؛ ويمكن تمثيل ذلك وفق الخطاطة الآتية:

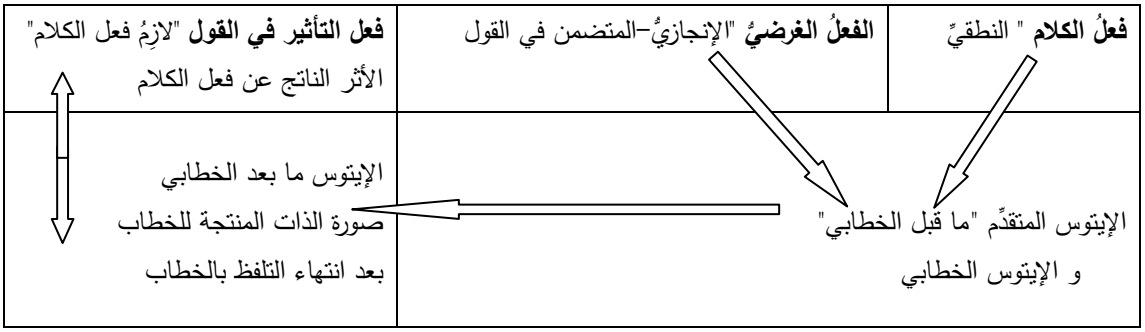

الجانب التطبيقي:

يُفترَض في هذا الجانب أنْ يجيبَ عن تساؤلاتٍ، أهمُّها: كيف أسَّس الخطيب لصورة الذات "الإيتوس الخطابي" في نصِّ الخطبة؟ وما هي الأساليب التي اتبعها ليحافظ على صورة الذات القبلية "الإيتوس المتقدِّم"؟ وهل تمكَّن من استدراج المخاطَب" المتلقي" واستمالته وإيصال رسالته إليه؟ وهل استطاع بناء الإيتوس ما بعد الخطابي بصورة توافق

---

[1]– ينظر: Jacques Moeschler, Antoine Auchlin: *Introduction a La Linguistique Contemporaine*, P135.

[2]– ينظر: المرجع السابق .IBID. P136

[3] – ينظر: المرجع السابق، ص 136، بتصرف. وينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، *استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية* ، مرجع سابق، ص156، بتصرف.

صورة الإيتوس المتقدِّم والإيتوس الخطابي؟ وهل فَهِمَ المخاطَب مقاصد الخطيب، وتفاعل معها؟ وهل كانت ردود أفعاله تنبني على موافقة صورة الإيتوس الخطابي، أم جاءت مخالفة له؟

نص خطبة الحسن بن علي عليهما السلام: (نَزَلَ الحَسَنُ بنُ عَلِيِّ بنُ أَبِي طَالِب عَلَيْهِم السَّلامُ سَابَاطَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ نَادَى فِي النَّاسِ: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، فَاجْتَمَعُوا، فَصَعِدَ المِنْبَرَ، فَخَطَبَهُم قَائِلاً:

«الحَمْدُ للهِ كلَّمَا حَمِدَهُ حامدٌ، وأشهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، كُلَّمَا شَهِدَ لَهُ شَاهِدٌ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُوْلُ اللهِ، أَرْسَلَهُ بِالحَقِّ، وائتَمَنَهُ عَلَى الوَحْيِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَوَاللهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُوْنَ قَدْ أَصْبَحْتُ بِحَمْدِ اللهِ وَمَنِّهِ، وَأَنَا أَنْصَحُ خَلْقِهِ لِخَلْقِهِ، وَمَا أَصْبَحْتُ مُحْتَمِلاً عَلَى مُسْلِمٍ ضَغِيْنَةً، وَلَا مُرِيْداً لَهُ بِسُوْءٍ وَلَا غَائِلَةً، أَلَا وَإِنَّ مَا تَكْرَهُوْنَ فِي الجَمَاْعَةِ خَيْرٌ لَكُم مِمَّا تُحِبُّوْنَ فِي الفُرْقَةِ. أَلَا وَإِنِّي نَاْظِرٌ لَكُم خَيْراً مِنْ نَظَرِكُم لِأَنْفُسِكُم، فَلَا تُخَالِفُوا أَمْرِي، وَلَا تَرُدُّوا عَلَيَّ رَأْيِي، غَفَرَ اللهُ لِي وَلَكُم، وَأَرْشَدَنِي وَإِيّاَكُم لِمَا فِيْهِ مَحَبَّتَهُ وَرِضَاهُ إِنْ شَاْءَ اللهُ".

فَنَظَرَ النَّاسُ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ، وَقَالُوا مَا تَرَوْنَهُ يُرِيْدُ بِمَا قَالَ؟ قَالُوا: نَظُنُّهُ يُرِيْدُ أَنْ يُصَالِحَ مُعَاوِيَةَ وَيَكِلَ الأَمْرَ إِلَيْهِ، كَفَرَ وَاللهِ الرَّجُلُ، ثمَّ شَدُّوا عَلَى فُسْطَاطِهِ فَانْتَهَبُوْهُ، حَتَّى أَخَذُوا مُصَلَّاهُ مِنْ تَحْتِهِ، وَشَدَّ عَلَيْهِ بَعْضُهُم فَنَزَعَ مُطْرَفَهُ عَنْ عَاتِقِهِ فَبَقِيَ جَالِساً مُتَقَلِّداً سَيْفاً بِغَيْرِ رِدَاءٍ، فَدَعَا بِفَرَسِهِ فَرَكِبَهُ، وَأَحْدَقَ بِهِ طَوَائِفُ مِنْ خَاصَّتِهِ وَشِيْعَتِهِ، وَمَنَعُوا مِنْهُ مَنْ أَرَادَهُ، وَلَامُوْهُ وَضَعَّفُوْهُ لِمَا تَكَلَّمَ. فَلَمَّا مَرَّ فِي مُظْلِمِ سَابَاطَ، قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهُ جَرَّاحُ بنُ سِنَان، وَبِيَدِهِ مِعْوَلٌ، فَأَخَذَ بِلِجَامِ فَرَسِهِ، وَقَالَ: اللهُ أَكْبَرُ يَا حَسَنُ! أَشْرَكَ أَبُوْكَ، ثُمَّ أَشْرَكْتَ أَنْتَ! وَطَعَنَهُ بِالمِعْوَلِ، فَوَقَعَتْ فِيْ فَخْذِهِ فَشَقَتْهُ، حَتَّى بَلَغَتْ أُرْبِيَّتَهُ، وَسَقَطَ الحَسَنُ إِلَى الأَرْضِ بَعْدَ أَنْ ضَرَبَ الذِي طَعَنَهُ بِسَيْفٍ كَانَ بِيَدِهِ وَاعتنقه فخرًا جميعاً إلى الأرض»)[1].

قبل البدء بتحليل الخطبة لابدَّ من الإشارة إلى مقام الإبلاغ متضمناً الزمان والمكان الذي يجمع المرسِل والمتلقي، فالمرسِل " الخطيب" هو الحسنُ بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، والذي بايعه جَمْعٌ مِنَ المُسْلِمِين بالخلافة بعد رحيل والده ﷺ، وأمَّا المتلقي "المخاطَب" فهم سكان ساباط في المدائن من أعمال بلاد فارس، ممن عقدوا البيعة للإمام الحسن ﷺ، والمكان مسجد في ساباط مدينة في بلاد فارس، أمَّا الزمان، فهو وقت المراسلات التي تمت بين معاوية والحسن ﷺ سنة إحدى وأربعين للهجرة.

تشير المعطيات القبلية إلى العلاقة الوثيقة التي تجمع الخطيب بالمخاطَب "المتلقي"، وإلى المكانة الموقَّرة التي يشغلها الخطيب، وهي صورة **الإيتوس المتقدِّم** "**ما قبل الخطابي** "، ويبيِّن ذلك نداؤه الناسَ بأسلوب لطيف يشي بتواضعه، ويجعل نفسه واحداً منهم، فينادي في الناس صباح ذلك اليوم: «الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ»، فَاجْتَمَعُوا، دونَ أنْ يقولَ لهم: "اجتمعوا"، وفي ذلك تأدُّبٌ ومراعاةٌ لقوانين الخطاب التي نظَّر لها غرايس.

بدأ الحسنُ ﷺ خطبته بالحمدِ والشهادةِ، وذكر الرسولَ محمداً ﷺ وآله، بوصفه رسولَ الحقِّ المُؤتمَن على الوحي، فيقول: «الحَمْدُ للهِ كلَّمَا حَمِدَهُ حامدٌ، وأشهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، كُلَّمَا شَهِدَ لَهُ شَاهِدٌ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُوْلُ اللهِ، أَرْسَلَهُ بِالحَقِّ، وائتَمَنَهُ عَلَى الوَحْيِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ »، ولعلنا نجدُ في حمده وشهادته تكريساً لحالة إيمانيَّة مستدامة مادام هناك خلقٌ يحمدون الله ويشهدون بوحدانيَّته، واستخدامه لصيغة اسم الفاعل في لفظتي " **حامد، شاهد** " تعبير عن استمرارية القيام بالفعل، ودعوة للاقتداء بفعل حمد الله والشهادة بوحدانيته وتفرُّده، لأنَّ الاستشهاد بما جاء به محمد ﷺ

---

[1] – **أحمد زكي صفوت> *جمهرة خطب العرب*، ج2 العصر الأموي، ص ص(4-5).**

ساباط: ساباط كسرى بالمدائن، الغائلة: الشر والفساد والداهية، المطرف: رداء من خزٍّ مربَّع ذو أعلام، الأربية: أصل الفخذ.

يقوّي درجة التصديق بقاعدة معلومة يسترجع حضورها في ذهن المخاطَب بوصفها حقيقةً [1] مسلَّمةً تُعَدُّ محور العقيدة الإسلاميَّة وصُلْبَها، ويتوافق عليها المسلمون جميعاً، وهي «أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُوْلُ اللهِ، أَرْسَلَهُ بِالحَقِّ، وائتَمَنَهُ عَلَى الوَحْيِ»؛ ولعلَّ توجيهَ ذِهْنِ المخاطَب لاسترجاع تلك القاعدة "المُسلَّمة " يمثِّل معطى تداولياً ينبني عليه اعترافٌ يُضمره المخاطِب ويصرِّح به، ويؤسِّس لنجاح **عقد التواصل** بين أطراف العملية التواصلية، فقولِهِ: « أشهدُ أنَّ مُحَمَّداً رَسُوْلُ اللهِ ...» يؤسِّس لقول مضمَرٍ متضمن، وهو "**وأنتم تشهدون كما أشهدُ** أنَّ مُحَمَّداً رَسُوْلُ اللهِ، أَرْسَلَهُ بِالحَقِّ، وائتَمَنَهُ عَلَى الوَحْيِ"، وبالتالي يثبِّت **تعاقداً** مع المخاطَب على تلك المسلَّمة، وستكون لهذا التعاقد مهمة تغيير جذريَّة في توجهات المخاطَبين، تهدف إلى إعادة صياغة الواقع وفق معطيات سياسيَّة جديدة تتوخَّى نزع فتيل الخلاف والتفرقة بين المسلمين، وسيحاول منتج الخطاب استثمارها في ملفوظاته اللاحقة بما يعزِّز تأكيد سلطته، ويسهم في بناء صورة **الإيتوس** الخطابي.

ولعلَّنا نجدُ ارتباطَ ذِكْرِ **الأمانة** " أمانة الحقِّ والوحي" بوصفها مسلَّمَةً يتوافق عليها جميع المسلمين في قوله: « ... وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُوْلُ اللهِ، أَرْسَلَهُ بِالحَقِّ، وائتَمَنَهُ عَلَى الوَحْيِ... » معطىً تداولياً مضمراً يؤسِّس للأحكام اللاحقة، ويتضامن معها، وأنَّ هذه الأمانة بنزولها على محمد ﷺ عن طريق الوحي [2] أصبحت أمانةً أرضيَّةً تحتاج من يتابع حمل ولايتها وصونها بعد رحيل الرسول محمد ﷺ، ومن يستطيع حملها بعدَ جَدِّه ووالده أفضل من الحسن عليه السلام، ولذلك كانت الأمانة مُعطى حجاجياً تسنده معطيات مضمرة، لنصلَ إلى نتيجة مضمونها أنه مُوكَل بحمل الأمانة، وذلك في قوله: «وَأَنَا أَنْصَحُ خَلْقِهِ لِخَلْقِهِ »، ويمكن عَبْرَ قراءة متأنية في المستوى العميق لسياق إنتاج الخطبة، وقراءة السياق التاريخي، وتفاعل الأحداث الخطيرة التي أصابت المجتمع الإسلامي في ذلك الوقت، الوصولُ إلى نتيجة محوريَّة تُشْهِرُ امتلاك السلطة، وتفعِّل موافقة المخاطَبين على تثبيت حقِّ الحسن في الخلافة، وحمل أمانة جدِّه، واعترافهم بقدرته على حَمْلِ أمانةِ الحقِّ والوحي.

وبناءً على ما تقدَّم، نجدُ وصلاً رمزياً بين حضور الرسول محمَّدٍ ﷺ في استهلال الخطبة وبين مقاصد الخطيب، ليجعل من تشكيلاته اللغوية اللاحقة حُججاً لصيقة بالمسلَّمات السابقة تتبنى عليها، وتتواشج معها، وتكون وعاءً لمعانٍ مقبولة **تعزِّز مصداقيته** كي يمرِّر مقاصده المضمَرة عَبْرَها، فيشير إلى تبنِّيهِ لمشروعٍ يُظْهِرُ اهتمامه بمصالح المخاطَبين، ويحملُ الخير والسلام، وهنا يمتلك السياق فاعليته بجلاء في وصف حالة التسامح التي أعلنها الخطيبُ، وفي بيان علاقته بالمسلمين، وقد أدَّى قوله هذا إلى **اتساع المعنى الإيحائي**، فيفتح مستوى آخر للتلقي يتجاوز جمهور المخاطَبين من الموالاة إلى الفريق الآخر، وعلى ذلك يحمد الله الذي مَنَّ عليه بالحلم والقدرة على العفو وتخليصه من الضغائن، فهو لم يعدْ يحتمل حالة التوتر والانقسام بين المسلمين، وكرههم وحقدهم بعضهم على بعض نتيجة هذا الانقسام، فيقول: « وَمَا أَصْبَحْتُ مُحْتَمِلاً [...] لَهُ بِسُوْءٍ وَلَا غَائِلَةٍ ».

يعدُّ تثبيت حقِّ الحسن عليه السلام في الولاية قرينة دلالية تتضامن مع بُعْدٍ آخر يرتبط بشخص الخطيب العينيِّ "الإيتوس المتقدِّم" بوصفه سليلَ خاتم النبوة، وأحدَ سبطي رسول الله، ومن المبشَّرين بالجنة، وهو **علمٌ يمتلكه** الخطيب

---

[1] – (حين يعمدُ أحد أطراف الحجاج إلى الحقائق، ويجعلها المنطلق في خطابه، ويربط بينها وبين الوقائع، فإنما يلجأ إلى هذا بوصفه إجراءً عملياً تداولياً يأتي ليمنح حجاجه بداية قوية نافذة، فالحقائق تقوم على فكرة الربط بين الوقائع ، وبذلك فهي تتأسس في الغالب على مفاهيم فلسفية ودينية وعلمية)، ينظر: د. محمد بن سعد الدكان، *الدفاع عن الأفكار تكوين ملكة الحجاج والتناظر الفكري* ، ص139.

[2] – " النبوة اتصال دائم وتلقٍّ مباشر عن وحي الله ومحاولة دائمة لردِّ الحياة إلى الله". ينظر: حسين خمري، *سرديات النقد في تحليل آليات الخطاب النقدي المعاصر* ، ص92.

يوحي **بمعرفته المتفوّقة على جمهور المخاطَبين،** ودرايته بما يوجههم إليه، وقد مكَّنه ذلك من اعتلاء منبر النصح والإرشاد، واستشراف مستقبل يبيِّن فيه معرفته صالح المسلمين وخيرهم أفضل من معرفتهم لأنفسهم، ومن جهة أخرى يريد نيل ثقة المخاطَبين وإقناعهم **واستدراجهم للتضامن** معه وموافقتهم على مشروعه.

وتأكيداً على ذلك جاء بحجج متساندة ترتبط سياقياً بتجلِّيات الخير والمحبة والتسامح التي يريد نشرها بين المسلمين، بوصفها من المسلَّمات Assumptions الدينية الاجتماعية التي لا يُخْتَلَف فيها، (ف لا مفرَّ من استناد النصوص إلى ما تعدُّه مسلَّمات، إذْ تربط المسلَّمات النص بنصوص أخرى أو بتعبير آخر بعالم النصوص، فكلُّ أشكال الألفة والارتباط بالجماعة والتضامن تستند إلى معان مشتركة، ولا يمكن تصوُّر أيِّ شكل من أشكال التواصل أو التفاعل الاجتماعي دون هذا النوع من " الأرضية المشتركة "، ومن ناحية أخرى تتضمَّن القدرة على ممارسة السلطة الاجتماعية، والسيطرة والهيمنة، القدرة على تشكيل طبيعة "الأرضية المشتركة" ومضمونها إلى درجة ذات شأن، ويجعل ذلك من المعنى المستتر والمسلَّمات مسألة ذات أهميَّة من حيث ارتباطها بالأيديولوجية) [1]، وكان ذلك في قوله: « فَوَاللهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُوْنَ قَدْ أَصْبَحْتُ بِحَمْدِ اللهِ وَمَنِّهِ، وَأَنَا أَنْصَحُ خَلْقِهُ لِخَلْقِهِ، وَمَا أَصْبَحْتُ مُحْتَمِلاً عَلَى مُسْلِمٍ ضَغِيْنَةً، وَلَا مُرِيْداً لَهُ بِسُوْءٍ وَلَا غَائِلَةً، أَلَا وَإِنَّ مَا تَكْرَهُوْنَ فِي الجَمَاْعَةِ خَيْرٌ لَكُم مِمَّا تُحِبُّوْنَ فِي الفُرْقَةِ. أَلَا وَإِنِّي نَاْظِرٌ لَكُم خَيْراً مِنْ نَظَرِكُم لِأَنْفُسِكُم »، ولذلك قدَّم مشروعه للسلام على شكلِ **مُحَاجَّاتٍ عقليَّة وعاطفيَّة** وظَّف فيها الضمائر الشخصية بوصفها إشارياتٍ تداوليةً، (وهي إحدى أنواع تلك العناصر التي يتوقف على وظيفة تحديدها لشخصيات القول فهمُ دلالته على المستوى اللغوي المعياري) [2]، وتتحدَّدُ الضمائر الشخصية في الخطبة لتجلو مستويات العلاقة الدينيَّة والسياسيَّة والاجتماعيَّة بين أطراف العملية التواصليَّة، فثمَّةَ **مستوىً دينيٌّ سياسيٌّ** يستمدُّ منه الخطيب مشروعيَّة السلطة والمصداقية والثقة، وثمَّةَ **مستوىً فرديٌّ** يهيمن على مساحة النصِّ، ويمتلك حقَّ توجيه الأقوال، يحدِّد هذا المستوى ضميرُ المفرد المتكلِّم في الملفوظات:«إِنِّي، لَأَرْجُو، أَكُوْنَ، أَصْبَحْتُ، وَأَنَا أَنْصَحُ، وَمَا أَصْبَحْتُ مُحْتَمِلاً، وَلَا مُرِيْداً، وَإِنِّي نَاْظِرٌ، أَمْرِي، عَلَيَّ رَأْيِي، غَفَرَ اللهُ لِي، وَأَرْشَدَنِي»، و**مستوىً جمعيٌّ** يعبِّر عنه بطريقتين:

-**الأولى:** استخدامُ ضمير جماعة المخاطَبين الحاضرين، في الملفوظات الآتية: «تَكْرَهُوْنَ، خَيْرٌ لَكُم مِمَّا تُحِبُّوْنَ فِي الفُرْقَةِ، لَكُم خَيْراً مِنْ نَظَرِكُم لِأَنْفُسِكُم، فَلَا تُخَالِفُوا، وَلَا تَرُدُّوا، غَفَرَ اللهُ [...] لَكُم، وَأَرْشَدَنِي وَإِيَّاكُم».

-**الثانية:** خاطب فيها جماعة المسلمين بطريقة المفرد الغائب– في الملفوظات « **مُسلِم**، مُريداً **له** بسوء »– لمقصدٍ تداوليٍّ يوسِّع من خلاله دائرة التلقِّي، وينتقل بخطابه هذا من الخاص، أيْ "جماعة الموالاة الحاضرون" إلى العام، وهم جماعةُ المسلمين عامَّتهم المقصودون بالمسامحة والعفوِ، ولكنَّ المعطياتِ التداوليةَ والظروفَ المحيطة بإنتاج الخطبة تُخصِّص هذا "**المُسْلِمَ**" بقصدٍ مُضمَرٍ يلمِّح فيه إلى خلافِه مع معاوية، لأنَّ مشكلة الحسنَ الحاليَّة المؤرقة التي يمكن أنْ تحمل الضغائن – وفق السياق التاريخي– هي خلافه مع معاوية فقط.

وعلى ذلك تكون القيمُ العلائقية التي يوفِّرها النظام اللغوي بين الضمائر بعضها ببعض إيجابية من وجهة نظر الخطيب، بين ضمائر المتكلِّم التي تمثِّل الخيرَ، وتحمل مهمةَ توجيه الأقوال والمقاصد، وبين مخاطَب متعدِّدٍ يأخذُ دوره في التلقي ضمن دائرة تواصلية تتمثَّلُ في الحضور والغياب، ويفعِّل هذه العلاقاتِ جلبُ الحقائق المتوقَّع حصولها في ضفاف المستقبل، والتي تفترضُ مساراً حجاجيّاً انطلق من حقائق الماضي عبر **استدعاء صورة الرسول محمد** ﷺ الحاملِ لأمانة الحقِّ والوحي، واستحضار الأجواء النبويَّة بما فيها من قداسة وتسامح ووحدة للمسلمين، وبيَّن صورة

---

[1] – **نورمان فاركلوف، *تحليل الخطاب– التحليل النصي في الخطاب الاجتماعي*، ص91 وص120وص124، بتصرف.**

[2] – **د. محمد فكري الجزار، *لسانيات الاختلاف*، مجلة كتابات نقدية، ع43، ص304.**

الحاضر الذي يعيشه المخاطَبون في فرقة وتمزق، وافترض مستقبلاً يسوده التآخي وتجتمع فيه كلمة المسلمين، رغبة في تحريك مشاعر المخاطَبين، والحصول على موافقتهم على مشروع الصلح، ونشر المحبة التي يجدُ خيرها مرتبطاً بموقف يتَّخذه، وينهي عبْرَه حالة التفرقة التي يعيشها المسلمون، ويمكن تمثيل المحاجَّة في مسارات حجاجية متداخلة تتفرَّع عنها نتائج تستشرف المستقبل، وفق الآتي:

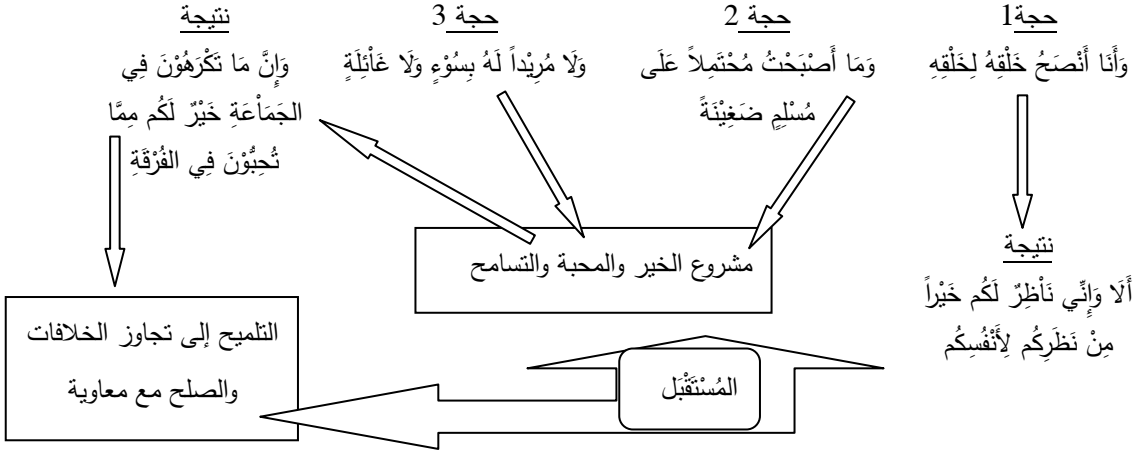

أفرز الموقفُ البالغُ الحساسيَّةِ الذي وُضِعَ به الحَسَنُ ﷺ الحاجةَ إلى التوسُّلِ بآلياتٍ لغويَّةٍ وبلاغية تستمدُّ حضورها ومشروعيتها من صلب العقيدة الإسلامية، لتضمن له تمرير مقاصده وتسويغ جنوحه للصلح، والتي تفضي وفق المعطيات النصِّية إلى اجتماع كلمة المسلمين، ونبذ الخلافات بينهم، ولذلك استخدم **أسلوباً** يحاولُ من خلاله وصل كلامه صلة لطيفة يحسن الانتقال فيها من حقائق الماضي إلى واقع التفرقة الحالي، مستشرفاً الخير في اجتماع كلمة المسلمين، ومن ذلك لجوء الحسنُ ﷺ في الجزء الأول من نصِّ الخطبة إلى **إستراتيجية تداولية** هي **تلطيف الخطاب** "Conversational Mitigation" لتخفيف قوَّة الفعل الكلامي، وتعديل قوَّته الإنجازية [1]، من أجل نقلِ المعنى المرتبط بسلوك الخطيب، والتلميحِ إلى التحوُّلِ الجذريِّ في موقفه من معاوية، ومن قضيِّة الولاية رغبة في امتصاص الانفعالات الناجمة عن تلقي هذا التحوُّل الجديد، ليصل عبر هذا التلطيف إلى تفعيل أحد قوانين المحادثة، وهو قانون التأدُّب كي يستدرج [2] المخاطَب نحو قبول المشروع الجديد الذي جاء به، وأيضاً محاولة الحفاظ على صورة الإيتوس الخطابي التي أرادها امتداداً للإيتوس المتقدِّم.

لعلَّ انتقال الخطيب من الأسلوب الخبري إلى الأسلوب الإنشائي يمثِّلُ التحوُّلَ من **إستراتيجية التلميح** الذي استدرج فيه المخاطَب بطريقة لطَّفَ فيها خطابَه، إلى **إستراتيجية التصريح المضمر** إذْ أشهرَ قراره، وطلبَ المصادقة عليه والامتثال له دون أنْ يبين صراحةً ماهيَّة أمره وقراره، وهنا توسَّل الخطيب **بالسلطة** ليعلن أوامره حول الموقف الجديد؛ لقد امتلك الحسن ﷺ **السلطةَ** مسبقاً قبل التلفظ بالخطاب، وهي حقٌّ مكتسَب وافقه عليه كثير من المسلمين، ومنهم جمهور المخاطَبين الذين بايعوه بالخلافة، وجاء توجيه الأقوال عبر امتلاكه**كفاءة تخاطبية تداولية** Pragmatic

---

[1] – عرض فريزر Fraser عام 1980 في بحث له مفهوماً تداولياً مهماً أطلق عليه اسم تلطيف الخطاب " Conversatyonal Mitigation" وبيَّن أنَّ التلطيف إستراتيجية يعتمدها المتكلم لتخفيف قوة الفعل الكلامي أو لإضعافها. ويقع هذا التخفيف أو الإضعاف– كما لاحظ فريزر– في المنطوق الذي تبدو تأثيراته غير مرحَّب بها عند المستَمِع، ينظر: د. محمد العبد، *النص والخطاب والاتصال* ، ص ص(232–235).

[2] – ينظَر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، *استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية* ، مرجع سابق، ص475.

Competence تمدُّه بالقدرة المطلوبة على استخدام اللغة في سياقاتها الفعلية، وتحديد ما تعنيه ملفوظاته وفقها [1] لتساعده في تثبيت سلطته عبْرَها، ويذكِّر المخاطَب بحقِّه في استخدامها بوصفه الناصحَ الذي يمتلك – كما جاء سابقاً– معرفةً متفوِّقة عليه، ولذلك يمكن وصف سلطته بأنَّها **سلطة تعاقديَّة** نالت ثقة المخاطَبين في ذلك المكان "الحيِّز" الذي اختار موالاة الحسن عليه السلام، وظهر استخدام السلطة بشكل تصاعديٍّ انتشاريٍّ في نص الخطبة، إذْ لجأ في البداية إلى تلطيف خطابه وبيان تسامحه مع المخاطَب الحاضر ومع المسلمين عامّتهم، ثمَّ قال: « فَلَا تُخَالِفُوا أَمْرِي، وَلَا تَرُدُّوا عَلَيَّ رَأْيِي»، وهنا تنامت سلطته متصاعدةً عبْرَ استخدام أفعالٍ لغويَّة إنجازية، ظهرت في **مستويين تداوليين، الأول مستوى توجيهي** يتجسّدُ نهياً ضمن طائفة الأفعال الطلبية التي نظَّر لها **سيرل،** فالنهيُ من الأساليب الطلبية الفعالة في التواصل، وهو (طَلَبُ الكفِّ عن فعلٍ على جهةِ الاستعلاء) [2]، إذْ توالى فعلا النهي " لَا تُخَالِفُوا– لَا تَرُدُّوا " في جمل قصيرة متتابعة قصْدَ **الاستحواذ على الموقف التواصلي،** ورغبة في التأثير في المخاطَب ولفت انتباهه إلى أنَّ قرارَه مُبْرَم لا رجوع عنه، و**الثاني مستوى مضمر** اعتمدَ إستراتيجية التلميح، ولكنَّه قد يخرج إلى غرض بلاغيٍّ هو **الالتماس،** لأنَّ لذلك المجتمعِ الذي يخطُبُ فيه **موجِّهات عقائدية** تمتلك سلطةً معيَّنة تفرض في مقام التواصل ما هو مناسب من موضوعات واختيارات على المرسِل، فلا يستطيع أنْ يقولَ كلَّ شيء أو أنْ يتحدَّثَ في أيِّ موضوع [3]، لذلك يعدُّ المكان أحد العناصر السياقية التي تؤطِّر حرية المرسل عند إنتاج خطابه، وربَّما تقيِّدها، ونمثلها وفق الآتي:

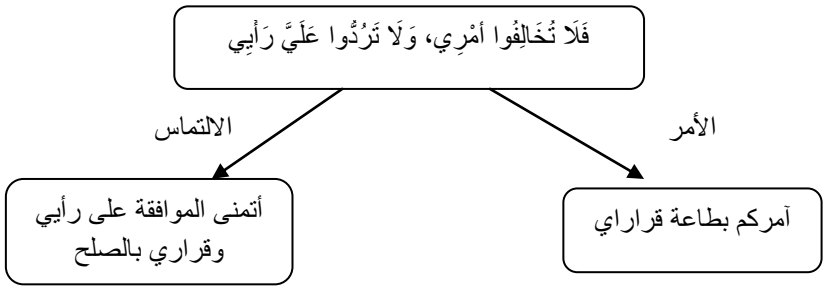

انطلق الحسنُ عليه السلام من خطابٍ دينيٍّ إسلاميٍّ يُعَدُّ امتداداً للخطاب السائد، ويتعيَّن على المسلمين الخضوعُ له، فهو (الخطاب الصادر عمَّن له الحقُّ في ذلك وحسب الطقوس المطلوبة، إنَّه الخطاب الذي كان يطبِّق العدالة على مستوى القول، ويعطي لكلٍّ نصيبه، إنَّه الخطاب الذي يعلن– وهو يتنبأ بالمستقبل– لا عمَّا سيقع فقط بل يسهم في تحقيقه، ويحمل معه مساهمة الناس ملتحماً بذلك مع المصير) [4]، وهنا حرص الخطيب عبْرَ سلطته خارج النص وداخله، وعبر أفعاله الإنجازية على توجيه إلزامي يُقنع به المخاطَبين بمقاصده، ويجعلهم **يتقبلون وضعيةً اجتماعيَّةً دينيَّةً سياسيَّةً جديدة** ، إذْ دعاهم إلى التسليم بما أمرَ به، وإلى المصادقة على رأيه في معطيات المصالحة بين المسلمين؛ وبعدَ ذلك يختم الحسن عليه السلام خطبته بأقوال دينية يدعو فيها بالغفران والإرشاد لما فيه المحبة والرضا له وللمخاطَبين، بقوله: «غَفَرَ اللهُ لِي وَلَكُم، وَأَرْشَدَنِي وَإِيَّاكُم لِمَا فِيْهِ مَحَبَّتَهُ وَرِضَاهُ إِنْ شَاْءَ اللهُ».

ونجد في السياق ذاته أنَّ **الديانة الإسلامية شكَّلت محور التعابير الخطابية** في النص، وذلك في الاستهلال والعرض والخاتمة، وكانت فاصلاً بين فكِّ رموز النصِّ وإدخاله حيِّز التنفيذ في مستوى التفاعل التواصلي، ولكن مع أنَّه

---

[1]– ينظر: د. محمد محمد يونس علي، *المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية* ، ص ص(148–149).

[2]– حسام أحمد قاسم، *تحويلات الطلب ومحددات الدلالة* ، ص82.

[3]– تتمثَّل سلطة المجتمع في ما يسمح باستعماله من ألفاظ اللغة، وهذا يجعل قسماً من الخطابات الصريحة غير ممكنة، وتنتمي إلى قانون التأدُّب، ينظَر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، *استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية* ، مرجع سابق، ص ص(231–232).

[4]– ميشيل فوكو، *نظام الخطاب* ، ترجمة د. محمد سبيلا، ص 12.

خاطبهم بطريقة دينية إلَّا أنَّ تلقِّي هذا الخطاب كانَ مغايراً ومفاجئاً، فلم يصِل بهم إلى الفعل الثالث من أفعال الكلام، وهو "الفعل التأثيري أيْ لازم فعل الكلام" بما يوافق مقاصده، ولم يتمكَّن من حملهم على تبني مقاصده المضمرة التي فهمها المخاطَبون، وهي رغبة الصلح، فهناك تغيُّر في مسافة التواصل بين الخطيب والمخاطَب، يمكن أنْ نقول فيها: إنَّها مسافة من ضعف التواصل بين مقام الإبلاغ ومقام التلقي، بدليل أنَّ المخاطَب فهمَ جنوحَ الحسنِ إلى الصلح من خلال أفعاله الكلاميَّة والقرائن السياقيَّة في نص الخطبة من دون أنْ يصرِّح بها، وكانت ردَّة فعلهم مفاجئة لمنتج الخطاب، حيث أتمَّ الفعل الكلامي المرحلة الأولى، وهي الفعل النطقي من خلال استخدام اللغة تركيبيّاً ودلاليّاً، وتحقَّق الفعل الثاني عبر الأفعال الإنجازية، وأمَّا قوله: «فَلَا تُخَالِفُوا أَمْرِي، وَلَا تَرُدُّوا عَلَيَّ رَأْيِي »، فهو يحمل قوَّة إنجازية حرفيَّةً تتمثَّل في النهي عن مخالفة أمره، والنهي عن ردِّ رأيه لأنَّه قرَّر أمراً لا رجوع عنه، أمَّا المرحلة الثالثة، وهي لازم فعل الكلام " الفعل التأثيري" فجاءت مناقضة لما أراد الحسن ﷺ الوصول إليه بوصفه الوصيَّ المتَّبِعَ للرسول ﷺ والحاملَ لأمانة الحقِّ والوحي والناصحَ للمخاطَبين، والعارفَ بمصلحتهم وخيرهم أفضل منهم وفق ما جاء قي نصِّ الخطبة، ولكنَّ المخاطَب فَهِم الإستراتيجيَّة التداوليَّة التي اتبعها الخطيب، والتي تقوم على البعدَ التلميحي التداولي للخطاب، وهذا يشي بما لم تذكره الخطبة، بأنَّ الخطيبَ يدعوهم إلى موافقته في موضوع الصلح؛ هذا ما لم تصرِّح به الخطبة، لكنَّ المخاطَب استطاع قراءةَ المضمرِ من خلال السياق التداولي، وفَهِمَ دعوَةَ الخطيب إلى وحدة الجماعة، بقوله: «وَمَا أَصْبَحْتُ مُحْتَمِلاً عَلَى مُسْلِمٍ ضَغِيْنَةً، وَلَا مُرِيْداً لَهُ بِسُوْءٍ وَلَا غَائِلَةٍ، أَلَا وَإِنَّ مَا تَكْرَهُوْنَ فِي الجَمَاْعَةِ خَيْرٌ لَكُم مِمَّا تُحِبُّوْنَ فِي الفُرْقَةِ »، أنها دعوة للامتثال لأوامر الحسن ﷺ؛ وهذه قيم إسلامية يركِّز عليها بتوكيدها وإثبات معانيها.

يمكن القول إنَّ الاتِّصال قد تحقَّق، وحاول الخطيب إقناع المخاطَب بمقاصده، وجرى التفاعل مع معطيات الخطبة وإيحاءاتها، وتمَّ التأثير في المخاطَب، ولكن الاقتناع لم يتحقق، بل إنَّه جاء مغايراً، وتولَّد عنه عنفٌ لغويٌّ بحق الخطيب، ثمَّ تلاه عنفٌ ماديٌّ وممارسات قام بها بعض المخاطَبين لا تليق بمقام الحسن ﷺ، إذْ تمَّ تكفيره، وإيذاؤه، ونَهْبُ فسطاطه ومصلَّاه، ونزع مطرفه...، وقد حدث الأمر وفق الرواية التي جاءت في كتاب الجمهرة، ووثَّقناها في كتاب مقاتل الطالبيين[1]، كالآتي: « فَنَظَرَ النَّاسُ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ، وَقَالُوا مَا تَرَوْنَهُ يُرِيْدُ بِمَا قَالَ؟ قَالُوا: نَظُنُّهُ يُرِيْدُ أَنْ يُصَالِحَ مُعَاوِيَةَ وَيَكِلَ الأَمْرَ إِلَيْهِ، كَفَرَ وَاللهِ الرَّجُلُ، ثمَّ شَدُّوا عَلَى فُسْطَاطِهِ فَانْتَهَبُوْهُ، حَتَّى أَخَذُوا مُصَلَّاهُ مِنْ تَحْتِهِ، وَشَدَّ عَلَيْهِ بَعْضُهُم فَنَزَعَ مطْرَفَهُ عَنْ عَاتِقِهِ فَبَقِيَ جَالِساً مُتَقَلِّداً سَيْفاً بِغِيْرِ رِدَاءٍ، فَدَعَا بِفَرَسِهِ فَرَكِبَهُ، وَأَحْدَقَ بِهِ طَوَائِفُ مِنْ خَاصَّتِهِ وَشِيْعَتِهِ، وَمَنَعُوا مِنْهُ مَنْ أَرَادَهُ، وَلَامُوْهُ وَضَعَّفُوْهُ لِمَا تَكَلَّمَ...».

وهنا يطرحُ السؤال ما الذي جعلَ المسافة المكانيَّة الشخصيَّة بين الخطيب وجمهور المخاطَبين تتعرَّض للاختراق؟ وما هي السلطة التي امتلكها المخاطَب ليكون انفعالُه سلبيّاً بشكلٍ عدوانيٍّ إلى درجة التطاول على الحسن ﷺ ومحاولة إيذائه؟

كان قرار الحسن ﷺ – مع ما يحملُه مشروعه من حكمةٍ ووعيٍ وتعقُّلٍ قد ينهي الخلاف، ويحقن دماء المسلمين – من طرف واحدٍ، إذْ أظهر سلطته عبر هذا القرار، وأبدى رغبتَه في عَدَمِ طرح الموضوع للمناقشة بين أتباعه، ولأنَّ (اللغة هي أكثر من مجرَّد وسيلة للتعبير عن التفكير، إنَّها في الحقيقة عامل رئيس في تشكيل التفكير) [2]، فقد تغيَّرت صورة الخطيب الإيتوس Ethos بعد أقواله تلك من وجهة نظر المخاطَب، وتغيَّر تفكيرُ المخاطَب وفقاً لها،

---

[1]– أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين بن محمد المرواني الأموي القرشي ت 356هـ، *مقاتل الطالبيين* . شرح وتحقيق السيد أحمد صقر، ص ص(71 –72).

[2]– إدوارد تي هول، *البعد الخفي*، ترجمة لميس فؤاد اليحيى، ص2.

فإذا كانت صورة منتج الخطاب قبل إنتاج خطبته تطابق ما أطلقت عليه روث أموسِّي **بالإيتوس المتقدِّم** "**ما قبل الخطابي**" المرتبط بالمقام الاجتماعي والسياسي الذي يتقلَّده الخطيبُ، وهي صورةُ الإمامِ المؤمنِ الحسنِ بنِ عليٍّ بنِ أبي طالب عليهما السلام، كما أنَّه أحدُ سبطي الرسول محمَّدٌ ﷺ أيْ "حفيد رسول الله محمَّدٌ ﷺ " صاحب الخلق السويِّ والمعرفة والحكمة، وهو الذي اجتمع حوله كثير من المسلمين، وبايعوه بالخلافة بعد رحيل والده ﷺ، وظهرت صورته في فضاء الخطبة، وهي تتعلَّق بصورة الذات ضمن مشهد التلفُّظ التي يبنيها المتكلِّم في خطابه، لا بالشخص العيني المتكلِّم، ويمنح من خلال هذه الصورة نفسه في الخطاب موقعاً مؤسساتيّاً، ويمارس عبْرَه تأثيراً في المخاطَب، والتي اصطلح على تسميتها **بالإيتوس الخطابي**، بوصفه الوصيَّ صاحبَ الحقِّ في خلافة المسلمين وفي حَمْلِ أمانة الحقِّ والوحي والعارفَ المتبصِّرَ بما هو خير للمخاطبين أكثر من نظرهم لأنفسهم، أمَّا صورته –من وجهة نظر المخاطَبين– بعد انتهاء الخطاب فكانت مختلفة إلى حدِّ التناقض مع الإيتوس المتقدِّم، ويجب أنْ ندرك (أنَّ للسياسة منطقها الذي قد لا يتماهى مع منطق المناقب الشخصية[...] وقد تقوم الشخصيَّة بعمل ما لا قيام للأمر إلَّا به، وإن تعارض مع سجايا معينة)[1]، **ولعلَّنا نوفَّق في توظيف المصطلح الذي توصَّل إليه البحث في القسم النظري** ، أيْ صورة الإيتوس بعد إنجاز الأفعال والوصول إلى الفعل التأثيري، **وهو الإيتوس ما بعد الخطابي** ، إذْ وجد المخاطَبون الحسنَ ﷺ قد ابتعد عن خطِّهم الأيديولوجي، ونطقوا بحقِّه حكماً قاسياً، بأنه كفر حين أظهر قراره الذي يفضي إلى مصالحة معاوية، ويمكن **تمثيل التحولات في صورة الخطيب**" **الإيتوس**" وفق الآتي:

الإيتوس المتقدِّم	**الإيتوس الخطابي**	**الإيتوس ما بعد الخطابي**
صورة الإمام المؤمن الحسنِ بن الإمام عليٍّ بن أبي طالب عليهما السلام، حفيد رسول الله محمَّدٌ ﷺ صاحب الخلق السويِّ والمعرفة والحكمة، والذي نال احترام المخاطَبين، وقد بايعوه بالخلافة.	صورة الوصيُّ صاحب الحقِّ في خلافة المسلمين وفي حَمْلِ أمانة الحقِّ والوحي، والعارف المتبصِّر بما هو خير للمخاطبين أكثر من نظرهم لأنفسهم، والمتسامح مع المسلمين كلِّهم، والراغب في جمع كلمتهم.	تناقض صورة الخطيب مع صورته قبل الخطاب، إذْ كفَّروه وسحبوا مصلَّاه من تحته ونزعوا مطرفه، مظهرين عدم احترامه.
علاقة ثقة و **انسجام** بين الخطيب والمخاطَب	استمرار علاقة الانسجام إلى قوله: "أَلَا وَإِنَّ مَا تَكْرَهُوْنَ فِي الجَمَاْعَةِ خَيْرٌ لَكُم مِمَّا تُحِبُّوْنَ فِي الفُرْقَةِ"، **وبدأ التوتر وتصاعد الخط الانفعالي** عندما أعلن قراره، ونهى المخاطَب عن الرد عليه، بقوله:" فَلَا تُخَالِفُوا أَمْرِي".	**عدم انسجام** نتائج المعطيات النصيَّة مع تصورات المخاطَبين الخاصة الرافضة للصلح مع معاوية

لعلَّ التغيُّرَ في تفكير المخاطَبين تبعه تغيُّرٌ في سلوكهم أيضاً، إذْ أعادوا رَبْطَ المقاصد بمعطيات الواقع، وأسقطوا تصوراتهم الخاصة الرافضة للصلح مع معاوية على تلك المقاصد، ولعلَّهم عدُّوا قرار الخطيب بالصلح مع معاوية ليس مجرَّد تفريطٍ بحقه الشخصيِّ فقط، وإنما عدُّوه تفريطاً بحقِّ المخاطَبين أنفسهم، (فمن الحقائق المعروفة أنَّ الضغوط الاجتماعية الواحدة يجربها الناس المختلفين بطرق مختلفة بمعنى آخر، ردود الفعل على العمل الإقناعي سيحددها، ليس فقط المتحدِّث، أي الشخص الذي تصدر عنه الرسالة، وما يقال، أي الرسالة، ولكن سوف يحددها أيضاً

[1] – **ينظر: د. تركي الحمد، *السياسة بين الحلال والحرام أنتم أعلم بأمور دنياكم*، ص169.**

الخصائص الاجتماعية والشخصية للأفراد الذين توجه لهم الرسالة) [1]، فأباح المخاطَبون لأنفسهم التدخُّلَ في الخطاب والتطاولَ على الخطيب، وسَادَ جوٌّ من التوتر والانفعال السلبيِّ انتهى بسلوك عدوانيٍّ نحو المرسِل "الخطيب"، وعمَّت حالة من الفوضى والغوغاء تجاوزت الأعراف الاجتماعيَّة السابقة التي أسَّس لها العقد الاجتماعي الإسلامي، ووَصَلَ الوضعُ المتأزِّم بالمخاطَبين – لاسيَّما أنَّهم حشدٌ جماهيريٌّ غيرُ منظَّمٍ ينتمي أفراده لفئات اجتماعية مختلفة – إلى ما يمكن تسميته في علم النفس **بؤرة الفساد السلوكية**[2]، إذْ تحكم ردود أفعال المتلقي "المخاطَب" على نجاح الرسالة التواصليَّة أو فشلها، ولذلك لا يُقاس نجاح عمليَّة الاتِّصال بما يقدِّمه المرسِل، ولكن بما يقوم به المستقبِل "المُتلقي" سلوكيّاً، ويُقصَدُ به تلك الردود التي يبديها المتلقِّي بعد تلقِّيه الرسالة الخطابيَّة مباشرة " رجع الصدى" سواء بالقول أو الفعل أو الحركة [3]؛ فلم يحترم المخاطَبون مقام الخطيب ولا صورته السابقة، **وتدهورت قدسيَّة السلطة** التي كان يتمتع بها الخطيب قبل الخطبة وأثناءها، و**انخفضت رهبة المنبر**.

ولذلك وجدَ المخاطَبون عَبْرَ ذلك الحشد االجماهيري في معطيات الخطبة **قصوراً** عن بلوغ غاية الإقناع التي يريدونها ملائمة لتوجُّهاتهم الأيديولوجيَّة والاجتماعيَّة والسياسيَّة، وخبرتهم وذوقهم الجمالي الخاص بهم، وليس كما قدَّمها الخطيب معبِّراً عن تجربته ورؤيته الذاتيَّة لإنهاء الخلاف مع معاوية، وفي ذلك يقول أحد الباحثين: (في الحشد تختفي الشخصية الواعية، مع العلم أنَّ مشاعر وأفكار الوحدات المنفصلة التي تشكِّل المنحى ذاته. تشكَّل روح المجموعة التي تمتلك، طبعاً، طابعاً مؤقَّتاً لكنَّها تمتلك أيضاً ملامح محدَّدة [...] الفرد المتواجد بعض الوقت وسط الحشد الفاعل ينتقل سريعاً، إمَّا تحت تأثير التيارات المنبعثة من هذا الحشد أو لأسباب غير معروفة، إلى مثل هذه الحال التي تذكِّر كثيراً بحال الذات المنومة مغناطيسيّاً [...] وعند ذلك يكتسب الفردُ في الحشد وعياً لقوَّة لا تُقهر، وهذا الوعي يسمح له بالاستسلام لغرائزَ لم يكن ليهبها إرادته لو أنَّه وحده، ويكون في الحشدِ أقلَّ ميلاً لكبحِ هذه الغرائز لأنَّ الحشدَ مجهولٌ ولا تقع عليه أيُّ مسؤوليَّة، الشعور بالمسؤولية الذي يضبط دائماً الأفراد المنفصلين يختفي تماماً في الحشدِ [...] فيتحوَّل البخيل إلى مبذِّرٍ، والمتشكِّك إلى مؤمن، والإنسان الشريف إلى مجرم، والجبان إلى بطل...) [4]، وعلى ذلك أباح المخاطَبون لأنفسهم عبر بؤرة الفساد السلوكيَّة والاضطراب الناتج عنها **التمرُّدَ** على الخطيب، لينتج عن تمرُّدهم خطاب آخر **يعدُّ انشقاقاً** عن خطاب السلطة السائد من داخله بالنظر إلى أنَّ المخاطَبين جمهور يوالي الحسن ﷺ؛ لقد جاء موقف المخاطَب مضادّاً لمضمون الخطبة، ولا يتوافق مع مقاصدِ الخطيب، فتعامل معها المخاطَب بسلبيَّةٍ شديدةٍ، ولم يتمكَّن – على الرغم من مقدرته التأويليَّة العالية – من التواصل مع رسالة الحسن ﷺ والتي وجد مضامينها تتعارض مع متبنياته الأيديولوجية وانفعالات عواطفه غير المتكيفة مع المشروع المتسامح الذي سيؤدِّي إلى نهاية الخلافات وحقن دماء المسلمين؛ ولعلَّ ذلك كلِّه قد أدَّى إلى تشكيل صورة الإيتوس ما بعد الخطابي وفق معطيات لا تماشي مقاصد الخطيب التي اجتهد كي يوصلها إلى المخاطَبين.

---

[1] – **د. جيهان أحمد رشتي، *الأسس العلمية لنظريات الإعلام*، ص541.**

[2] – **ينظر: إدوارد تي هول، *البعد الخفي*، مرجع سابق، ص ص(37–38).**

[3] – **ينظر: إبراهيم إمام، *الإعلام والاتصال بالجماهير*، ص75.**

[4] – **ينظر: سيرجي قره – مورزا، التلاعب بالوعي، ترجمة عيَّاد عيد، ص ص(376–377).**

الخاتمة والنتائج: نخلص من التحليل السابق إلى مجموعة نتائج، نفصِّلها كالآتي:

-تعدُّ صورة منتج الخطاب "الإيتوس" من الأدوات الإقناعية التي يحاول الخطيب بناءها وفق مقاصده وموجهاته الأيديولوجية، بهدف توجيه ذهن المتلقي ليؤمن بالقضيَّة التي أنتج الخطاب من أجلها، وهي استمالة المخاطَبين للموافقة على مشروعه المتسامح الذي يفضي إلى الصلح مع الفريق الآخر.

-حاول منتج الخطاب ضبط صورة الإيتوس الخطابي وفق المعطيات القبليَّة التي يتضمَّنها الإيتوس المتقدِّم، ليحافظ على سلطة الإمام التي يستمدُّها من مكانته الدينيَّة والاجتماعيَّة والسياسيَّة، ثمَّ يعمد إلى توجيه الأقوال عبر تقديم مشروعه المتسامح الذي يريد نبذ التفرقة، ويرغَبُ في اجتماع كلمة المسلمين.

-بنى منتج الخطاب محاجَّاته اللسانية وفق إستراتيجية تنطلق من مصلحة المخاطَب وتراعيها، وفق خطابٍ دينيٍّ إسلاميٍّ يُعَدُّ امتداداً للخطاب السائد، ويعزِّز بواسطته صورة إيتوس خطابي يتعيَّن على المسلمين الخضوعُ له، إنَّه الخطاب الذي يعلن- وهو يتنبأ بالمستقبل- لا عمَّا سيقع فقط، بل يسهم في تحقيقه، انطلاقاً من معرفته بخير المخاطَبين، ودرايته بصالحهم أكثر من أنفسهم.

-اختفت الشخصية الواعية من ذلك الحشد الذي سيطرت عليه بؤرة الفساد السلوكية، وأباح المخاطَبون لأنفسهم التدخُّلَ في الخطاب، والتطاولَ على الخطيب، وسَادَ جوٌّ من التوتر والانفعال السلبيِّ انتهى بسلوك عدوانيٍّ نحو المرسِل "الخطيب"، فلم يحترم بعضُ المخاطَبين مقام الخطيب ولا صورته السابقة، وتدهورت قدسية السلطة التي كان يتمتع بها الخطيب قبل الخطبة وأثناءها، وانخفضت رهبة المنبر، **وهنا كانت الحاجة إلى مصطلح الإيتوس ما بعد الخطابي،** لأنَّ صورة الإيتوس ما بعد الخطابي جاءت مغايرة للإيتوس الخطابي التي حاول الخطيب بناءها، إذْ وجدَ المخاطَبون في معطيات الخطبة **قصوراً** عن بلوغ غاية الإقناع التي يريدونها ملائمة لتوجُّهاتهم الأيديولوجيَّة والاجتماعيَّة والسياسيَّة، وخبرتهم وذوقهم الجمالي الخاص بهم، وليس كما قدَّمها الخطيب، معبِّراً عن تجربته ورؤيته الذاتية لإنهاء الخلاف مع معاوية.

-يرتبط الإيتوس ما بعد الخطابي بالفعل الثالث من أفعال الكلام، وهو الفعل التاثيري، فعندما يتحقق هذا التأثير نصل إلى لازم فعل الكلام، وهو صورة الإيتوس ما بعد الخطابي، والذي ينطلق من نصِّ الخطبة ليعمل بطريقة استدلالية أو استنتاجية خارج لفظ العبارة، ويكون عمله سلبياً أو إيجابياً.

المصادر والمراجع:

1 -ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، *لسان العرب*، مج 1، مادة "خطب". د. ط، دار صادر، بيروت لبنان، د. ت.

2 -أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين بن محمد المرواني الأموي القرشي ت356هـ، مقاتل الطالبيين. شرح وتحقيق السيد أحمد صقر، ط3، بيروت، لبنان، مؤسسة الأعلمي للطباعة والنشر، 1998.

3 -أرسطو طاليس، *الخطابة "الترجمة العربية القديمة"*. حققه وعلق عليه عبد الرحمن بدوي، د. ط، الكويت- لبنان، وكالة المطبوعات الكويت- دار القلم بيروت"، 1979.

4 -أرمينكو، فرانسواز، *المقاربة التداولية*. ترجمة د. سعيد علوش، ط1، الرباط، المغرب، مركز الإنماء القومي، 1986.

5 -إمام، إبراهيم، *الإعلام والاتصال بالجماهير*. ط3، القاهرة، مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، 1984.

6 -بوجادي، د. خليفة، *في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم*. ط1، الجزائر، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، 2009.

7 -تي هول، إدوارد، *البعد الخفي*. ترجمة لميس فؤاد اليحيى، مراجعة وتدقيق لغوي محمد الزواوي، ط 1، عمان، الأردن، الأهلية للنشر والتوزيع، 2007.

8 -الحمد، د. تركي، *السياسة بين الحلال والحرام أنتم أعلم بأمور دنياكم*. ط2، بيروت، لبنان، دار الساقي، 2001.

9 -الحنصالي، د. سعيد، الاستعارات *والشعر العربي الحديث* . ط1، الدار البيضاء، المغرب، دار توبقال للنشر، 2008.

10 -خمري، حسين، *سرديات النقد في تحليل آليات الخطاب النقدي المعاصر* . ط1، الجزائر العاصمة، الجزائر، منشورات الاختلاف، 2011.

11 -الدكان، د. محمد بن سعد، *الدفاع عن الأفكار تكوين ملكة الحجاج والتناظر الفكري*. ط1، بيروت، لبنان، مركز نماء للبحوث والدراسات، 2014.

12 -رشتي، جيهان أحمد، *الأسس العلمية لنظرية الإعلام*. ط 2، القاهرة، مصر، دار الفكر العربي، 1975.

13 -زكريا، د. ميشال، *الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام* . ط2، بيروت، لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1983.

14 -شارودو، باتريك- منغنو، دومينيك، *معجم تحليل الخطاب* . ترجمة عبد القادر المهيري، حمادي صمود، مراجعة صلاح الدين الشريف، د. ط، تونس، دار سيناترا المركز الوطني للترجمة، 2008.

15 -شلبي، د. عبد الجليل*الخطابة وإعداد الخطيب*ط3، القاهرة، مصر، مصر العربية للنشر والتوزيع1984.

16 -الشهري،عبد الهادي بن ظافر، *استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية* . ط1، لبنان، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2004.

17 -صفوت، أحمد زكي، *جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة* . ج2 العصر الأموي، ط 1، مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1933.

18 -العبد، د. محمد، *النص والخطاب والاتصال* . د. ط، القاهرة، مصر، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، 2014.

19 -علوش، د. سعيد، *معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة*. ط1، بيروت، لبنان، دار الكتاب اللبناني، 1985.

20 -الغزالي، عبد القادر، *اللسانيات ونظرية التواصل*. ط1، اللاذقية، سوريا، دار الحوار، 2003.

21 -فاركلوف، نورمان، *تحليل الخطاب- التحليل النصي في الخطاب الاجتماعي* . ترجمة د. طلال وهبة، مراجعة د. نجوى نصر، ط1، بيروت، لبنان، المنظمة العربية للترجمة، 2009.

22 -فوكو، ميشيل، *نظام الخطاب* . ترجمة د. محمد سبيلا، د. ط، بيروت، لبنان، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، 2007.

23 -قاسم، حسام أحمد، *تحويلات الطلب ومحددات الدلالة*. ط1، القاهرة، مصر، دار الآفاق العربية، 2007.

24 -قدور، د. أحمد محمد، *مبادئ اللسانيات*. ط2، دمشق، سوريا، دار الفكر، عام1999.

25 -قره – مورزا، سيرجي، *التلاعب بالوعي*. ترجمة عياد عيد، ط 1، دمشق، سوريا، منشورات وزارة الثقافة الهيئة السورية للكتاب، 2012.

26 -محمد يونس علي، د. محمد،*المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية* ط 2، بيروت، لبنان، دار المدار الإسلامي، 2007.

الدوريات والمجلات:

1 – الجزار، د. محمد فكري، *لسانيات الاختلاف*. مجلة كتابات نقدية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، مصر، ع43، سبتمبر 1995.

2 – لوصيف، الطاهر، *التداولية اللسانية " ملتقى علم النص"* . مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، ع17، 2006.

المراجع الأجنبية:

1- AMOSSY, RUTH, *L'argumentation dans le discours*: *discours politique, littérature d'idées*. Fiction, Nathan, 2000.

2- DUBOIS, JEAN, al., *Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage*, Larousse, Paris, France ,1999.

3- MITTERAND HENRI, L'Analyse Littéraire, Nathan, Paris, 2002.

4- MOESCHLER JACQUES, ANTOINE AUCHLIN, *Introduction a La Linguistique Contemporaine*, Armand Colin, Paris, 2000.